

نزع المقاومة من الذاكرة

ربيع بركات، لبنان

قبل فترة، أُجريتُ مع زملاء لي تجربة صغيرة على الصفحات الخاصة بمنصة النشر المستقلة **أوان** على مواقع التواصل الاجتماعي.¹ في الذكرى السنوية الأولى لاعتقال الأمين العام لحزب الله، السيد حسن نصر الله، أنتجنا فيديو قصيراً يستعرض مقتطفات من ستة خطابات له، وتقصدنا أن نقصر اختياراتنا على ما يتصل منها بصراع حزب الله مع "إسرائيل". أي أننا استثنينا خطابه المتعلقة بقضايا لبنانية أو بالحرب في سورية، وأوضحنا نطاقنا المقصود في عنوان الفيديو ومقدمته.

أظهرت الخطابات المذكورة محطات بارزة في مسيرة كل من نصر الله وحزب الله، إذ تناول نصر الله في أحدها سلفه السيد عباس الموسوي الذي اغتالته "إسرائيل" في العام 1992، ونعى في آخر ابنه هادي الذي قضى في عملية عسكرية ضد الاحتلال في العام 1997، واحتفى بثالث مع جموع غفيرة بتحرير جنوب لبنان في مدينة بنت جبيل في العام 2000، وأعلن في رابع قصف بارجة "ساعر" في حرب تموز / يوليو 2006، ووجه في خامس رسالة إلى المقاتلين أثناء حرب تموز أيضاً، وقال في سادس آخر كلماته بعد عملية "البيجر" الشهيرة في أيلول/ سبتمبر 2024.

لم يُسمح بنشر الفيديو على **تيك توك** لـ "عدم مراعاته المعايير"، على الرغم أنه توثيقي وذو "قيمة خبرية" نوعاً ما، وفُرضت قيود على صفحة المنصة. لكنه حصد، خلال ساعات قليلة، أكثر من مئة ألف مشاهدة وعشرة آلاف تفاعل على منصة **إنستغرام**، ونصف هذا العدد تقريباً على **فيسبوك**، وكان من بين المتفاعلين "مؤثرون" عرب في مجالات شتى لا صلة لها بالسياسة، بينها الطبخ والأزياء وخلافها. وفيما كان الفيديو ينتشر على نطاق واسع، حذفه كل من **إنستغرام** و**فيسبوك** على الرغم من توثيق الصفحة كمنصة إعلامية واستيفائها الشروط التي وضعتها شركة "ميثا" المالكة للتطبيقين.

كان مثيراً للاهتمام أننا، قبل إنتاج الفيديو، لم نعثر على اثنين من الخطابات المذكورة بصيغتهما الخام في أي مكان على الإنترنت، ما اضطرنا إلى معالجة الصوت وحذف الموسيقى أو الأناشيد المرافقة للخطابين قبل إدراجهما في المحتوى المعدّ للنشر. المشكلة، إذاً، لم تكن في القيود الخوارزمية التي تتيح حذف المحتوى الإعلامي التوثيقي عن مواقع التواصل الاجتماعي فحسب، بل في ندرة المواد الأرشيفية الخام المتاحة عبر الإنترنت أصلاً. أي أن أرشيفاً مصوراً كهذا، على الرغم من أهميته الشارحة لمسار تاريخي طويل ومعقد من عمل المقاومة ضد "إسرائيل"، موجود في العتم، صعب الاستحصال عليه، وصعب تداوله عبر الوسائط التي

يستخدمها جيل زيد (Gen Z) أكثر من غيرها. وكلا الأمرين، غياب الأرشفة والقيود على التداول، عاملان يسهلان نزع شرعية هذا الشكل من المقاومة، حتى من الذاكرة.

خوارزميات للبيع

في الذكرى السنوية الثانية لعملية "طوفان الأقصى" وبدء الحرب على غزة، نشر مركز الأبحاث Cybersecurity for Democracy تقريراً يفيد بأن المحتوى المؤيد للفلسطينيين على تيك توك يزيد عن ذاك المؤيد لـ "إسرائيل" بـ 17 ضعفاً.² وقد جاء ذلك بالرغم من التشدد النسبي الذي بدأت تيك توك تظهره حيال المحتوى "العنيف" أو "المؤلم"، وهو ما يقيّد، عملياً، نشر بعض ما يتصل بالحرب على غزة.

وتفسّر هذه الفجوة حماسة رئيس الحكومة "الإسرائيلية" بنيامين نتنياهو للصفقة التي فُرضت عملياً على شركة "بايت دانس" الصينية، مالكة تيك توك، والتي ستباع بموجبها عمليات التطبيق في الولايات المتحدة لمستثمرين أمريكيين بالدرجة الأساس، بما يجعل إعادة تشكيل خوارزميات تيك توك ممكنة، علماً أن واحدة من أبرز الذين ساهموا بإبرام الصفقة (سافرا كاتز، نائبة الرئيس التنفيذي لشركة Oracle)، أظهرت في السابق تأييداً حماسياً لـ "إسرائيل" وقلقاً بيناً من نمو حركة مقاطعة "إسرائيل" (BDS) في الجامعات الأمريكية.³ وقد وصف نتنياهو الاستحواذ على تيك توك بـ "عملية الشراء الأكثر أهمية حالياً"، واعتبر أن التركيز يجب أيضاً أن ينصب على منصّة X، قائلاً إن مالك المنصّة، إيلان ماسك، "ليس عدواً، بل صديق".⁴

هذا، وتتكامل الجهود "الإسرائيلية"، في هذا السياق، مع "الخدمات" التي تقدّمها شركة "ميتا"، مالكة فيسبوك وإنستغرام، لناحية تقييدها الحسابات المؤيدة للفلسطينيين والمنتقدة لـ "إسرائيل"، وفق ما بيّنته وثيقة نشرها موقع دروب سايت،⁵ إذ أظهرت الوثيقة أن الشركة وافقت على نحو 94 % من طلبات إزالة المحتوى، وأن "إسرائيل" كانت الأكثر طلباً لإزالة المنشورات والحسابات على منصّات "ميتا" في العالم.

وقد سبق لمنظمة "هيومن رايتس ووتش" أن أفادت أن فيسبوك قام بتقييد المحتوى المؤيد لفلسطين، بشكل منهجي، في الأعوام 2021 و2023 و2024.⁶ وفيما أفادت تقارير بأن الإدارة الأمريكية تستخدم أدوات الذكاء الاصطناعي لتتبع المتعاطفين مع فلسطين على وسائل التواصل الاجتماعي، وأن العقوبات المفروضة عليهم قد تشمل إلغاء تأشيرات الطلاب والترحيل، أظهرت تقارير أخرى استخدام الحكومة الألمانية أدوات مشابهة لحذف منشورات مؤيدة للفلسطينيين.⁷ كما أظهر تحقيق أجرته بي بي سي، تقييد فيسبوك قدرة وسائل إعلام فلسطينية على الوصول إلى جمهورها، خلال حرب الإبادة على غزة على وجه التحديد.⁸

الأكاديميا: قيود وفُرص

وعلى النحو الذي تُوظَّف فيه الخوارزميات وشركات الداتا العملاقة والسوشال ميديا لقمع الخطاب المقاوم للإبادة في غزة، تُخصَّص جهود كبيرة في الصروح الأكاديمية للقيام بالمثل. ففي شباط/ فبراير الماضي (2025)، مثلاً، كان يُفترض أن تُلقى المقررة الخاصة للأمم المتحدة، فرانيسكا ألبانيزي، محاضرة في جامعة برلين الحرة، إلا أن الجامعة ألغت المحاضرة بعد تعرُّضها لضغوط من السفير "الإسرائيلي" في برلين وعمدة المدينة المحافظ، اللذين طالبا "بإلغاء الفعالية فوراً وتوجيه رسالة واضحة ضدَّ معاداة السامية".⁹

وفي أواخر العام 2023، أي في الفترة التي بدأت فيها الحرب على غزة تتحوَّل إلى إبادة، قرَّر مجلس إدارة مجلة *Columbia Law Review* إغلاق الموقع الإلكتروني الخاص بالمجلة الأكاديمية المحكَّمة، إثر رفض محرِّريها الامتناع عن نشر ورقة ربيع إغبارية (وهو محام فلسطيني كان ينهي دراسة الدكتوراه في جامعة هارفرد) التي يعتبر فيها أن مصطلح "النكبة" يشكل إطاراً قانونياً شارحاً للأشكال المختلفة من الانتهاكات "الإسرائيلية" بحق الفلسطينيين على مدى عقود، شأنها شأن مصطلحات أخرى لها تعريفاتها الخاصة، كـ"الأبارتهايد" أو "الإبادة الجماعية". يومها، أطلق إغبارية وصف "إنكار النكبة" *Nakba Denial* على مساعي تعطيل الإنتاج البحثي الخاصة بـ"النكبة" الفلسطينية.¹⁰

وفي السياق نفسه، ألغت جامعة مينيسوتا عرض عمل كانت قد قدَّمته للباحث الأمريكي - "الإسرائيلي" راز سيغال بسبب وصفه الحرب "الإسرائيلية" على غزة بـ"حالة إبادة جماعية نموذجية"، علماً أن سيغال كان سيتولَّى منصباً مرموقاً (وحساساً في الوقت نفسه) في الجامعة، هو رئاسة مركز دراسات الهولوكوست والإبادة الجماعية.¹¹

هذا، ويمكن أن نقارن حالات كهذه بأخرى يكون فيها المعنيون ورثة ضحايا، لكنهم متصالحون مع جُلادِيهم، أو جُلادي آبائهم. البروفيسور عمر ياغي الذي منَّحته الأكاديمية الملكية السويدية للعلوم قبل أيام بالشاركة مع عالمين آخرين جائزة نوبل للكيمياء، مثال مُفيد في هذا السياق. فهو أمريكي من أصول فلسطينية، عاش طفولته في مخيم للاجئين في الأردن، ودرس في الولايات المتحدة حيث تفوَّق لاحقاً في مجاله البحثي، وكافأته مؤسسة "إسرائيلية" عبر منحه جائزة وولف *Wolf Prize* عن الكيمياء التي تبلغ قيمتها 100 ألف دولار تقديراً لإنجازاته العلمي.

تصف مؤسسة وولف جائزتها الدولية بأنها "تُمنح في 'إسرائيل' للعلماء والفنانين لإنجازاتهم في مصلحة البشرية والعلاقات الودّية بين الناس". أما حركة مقاطعة "إسرائيل" (BDS)، فتضع الجائزة في إطار رغبة "إسرائيل" في "ترسيخ مكانتها في الساحة الأكاديمية والثقافية العالمية". وتضيف الحركة، في بيان نشرته في العام 2013، أن "آلة الترويج 'الإسرائيلية' تنطلق بكامل طاقتها في مثل هذه المناسبات، لمنح علماء وفنانين وكتاب دوليين شرفاً مُريباً، يتمثّل في نيل جوائز من رئيس الدولة، ودرجات دكتوراه فخريّة من جامعات 'إسرائيلية'، أو إلقاء كلمات رئيسية في مؤتمرات مهنية".¹² وفي سياق نفي صفة الاستقلال عنها،

تلقت الحركة إلى أن "مُراقب الدولة" في "إسرائيل" يُشرف على جميع أنشطة المؤسسة، فيما يُعتبر وزير التربية والتعليم "الإسرائيلي" تلقائياً رئيساً لمجلس إدارة صندوق وولف.

على أيّ حال، ليس صعباً التحقق من علاقة "جائزة وولف" بالمؤسسات الرسمية "الإسرائيلية"، وليس رفض الجائزة فعلاً مستحيلاً. فقرار كهذا يتّصل، ببساطة، بإرادة متلقّيها. فقد سبق للمهندسة المعمارية الباكستانية باسمين لاري، مثلاً، أن امتنعت عن قبول الجائزة في آذار/ مارس الماضي بسبب استمرار الإبادة الجماعية في غزة، وأعربت عن موقفها ذاك بصريح العبارة في إحدى المقابلات: "قبول الجائزة كان أمراً غير وارد".¹³

غير أن قصة ياغي مثيرة بالمقارنة مع قصص الآخرين. فهو من أصول لاجئة. فلسطيني، بل غزّاوي، تمكّن من صعود السلم ولم يمنعه من ذلك ما قاسته عائلته المهجرة في العام 1948. وفي المقابلة التي أُجريت معه لتبليغه بنيله جائزة نوبل، قال "كنا أكثر من عشرة أفراد نعيش في غرفة واحدة. نتشاركها مع الماشية التي نربيها. وُلدتُ لعائلة لاجئين، وأهلي بالكاد كانوا يعرفون القراءة والكتابة." لكنه أضاف مستدركاً أن "العِلْم هو أكبر قوة للمساواة في العالم." وبهذا، نزع ياغي عن حالته كلّ المعوقات البنيوية التي ولّدها لجوؤه والتي تسبّبت بهذا اللجوء.

والحال أن العِلْم، في الواقع، ليس "أكبر قوة للمساواة في العالم"، ولا الأكاديميا. فالاثنان، كما الإنجازات المتّصلة بهما، يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالموارد والفرص المتاحة، وكذلك بالخيارات والمواقف السياسية والأخلاقية التي تفتح أبواباً أو تغلقها. ولا يمنع هذا وجود استثناءات، لكنه يحصرها في هذه الخانة: خانة الاستثناءات فحسب.

كان يمكن لقصة البروفيسور عمر أن تُقدّم بوصفها مقاومة للظروف الخاصة (والعامة) التي أوجدها طرفٌ مُستعمر. ربما كان ذلك سيُغلق أبواباً في وجهه، وهو ما يدركه على الأغلب. لكنّ قوله إنه "يتشرف كثيراً باختياره" للجائزة "الإسرائيلية" قبل سنوات، كان تسليماً بنزع أيّ فعل مقاوم للظروف التي رافقت نشأته من ذاكرته الفردية. وهذا واحد من أهداف الجائزة أساساً، وهو يشبه ما يُراد من الخوارزميات والقيود على "الداتا" وآليات الإنتاج المعرفي أن تقوم به، لجهة نزع مفهوم المقاومة وأرشيفها من الذاكرة الجمعية أيضاً.

الإحالات

[1] انظر موقع المنصة:

<https://awanmedia.net>

[2] Naomi Nix, "TikTok posts on Israel-Gaza war are overwhelmingly pro-Palestinian," *The Washington Post*, 7 October 2025, accessed 9 October 2025.

<https://www.washingtonpost.com/technology/2025/10/07/tiktok-israel-palestine/>.

[3] "TikTok Investor Pushed to Embed Pro-Israel Content in US Culture," *TRT World*, 2 October 2025, accessed 9

October 2025.

<https://www.trtworld.com/article/a15a62e96b14>.

[4] Rania Abu Shamala, "Netanyahu Admits Using Social Media as Weapon to Influence US Opinion Amid Gaza Genocide," *Anadolu Ajansı*, 27 September 2025, accessed 9 October 2025.

<https://www.aa.com.tr/en/middle-east/netanyahu-admits-using-social-media-as-weapon-to-influence-us-opinion-amid-gaza-genocide/3700646>.

[5] Ahmed Waqas and others, "Leaked Data Reveals Massive Israeli Campaign to Remove Pro-Palestine Posts on Facebook and Instagram," *Drop Site*, 11 April 2025, accessed 9 October 2025.

<https://www.dropsitenews.com/p/leaked-data-israeli-censorship-meta>

[6] Deborah Brown, "Meta's Oversight Board Rules 'From the River to the Sea' Isn't Hate Speech," *Human Rights Watch*, 18 September 2024, accessed 9 October 2025.

<https://www.hrw.org/news/2024/18/09/metass-oversight-board-rules-river-sea-isnt-hate-speech>

[7] Daniel G. B. Weissmann, "Germany Is Using AI to Erase Pro-Palestinian Speech," *Jacobin*, 29 May 2025, accessed 9 October 2025.

<https://jacobin.com/2025/05/germany-ai-palestine-israel-antisemitism>.

[8] Ahmed Nour, Joe Tidy and Yara Farag, "How Facebook Restricted News in Palestinian Territories," *BBC Arabic*, 18 December 2024, accessed 9 October 2025.

<https://www.bbc.com/news/articles/c786wxyz4jgo>.

[9] Weissmann, "Germany Is Using AI," op. cit.

[10] ربيع إغبارية، "إنكار النكبة"، "أوان"، 7 حزيران 2024، شوهد في 9 تشرين الأول 2025.

<https://www.instagram.com/reel/C766EfOMH2H/?igsh=ajJoNnNzaTZzZ2ox>

[11] "U. of Minnesota's Holocaust Center Revokes Post for Raz Segal, Who Qualified Israeli War as Genocide," *Democracy Now*, 17 June 2024, accessed 9 October 2025.

https://www.democracynow.org/2024/17/6/headlines/u_of_minnesotas_holocaust_center_revokes_post_for_raz_segal_who_qualified_israeli_war_as_genocide.

[12] "The Dishonor of Israeli Honors," *BDS: Freedom, Justice, Equality*, 2 February 2013, accessed 9 October 2025.

<https://www.bdsmovement.net/news/dishonor-israeli-honors>.

[13] "Pakistani architect Yasmeen Lari Turns Down Israel's Wolf Prize Over 'genocide' in Gaza," *Arab News*, 12 March 2025, accessed 9 October 2025.

<https://www.arabnews.com/node/2593242/pakistan>.